التعبير (المحادثة والتلفظ)

تعليم وتعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها

ربما لا أكون مبالغا إذا قلت أن اللغة العربية تمتاز عن غيرها من اللغات الأخرى بأنها لغة دين، وتعلمها مرتبط بعقيدة، وليس بأمور دنيوية فقط. فتعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها من المسلمين –بالتأكيد– بدأ قبل ألف وأربعمائة سنة، بصرف النظر عن كونه رسميا أو غير رسمي. ومن المؤكد أيضا أنه لم يأخذ الصفة التعليمية النظامية بالمفهوم الحالي إلا في القرن العشرين، عندما وقعت البلاد العربية بل والإسلامية تحت وطأة الاستعمار، الذ حاول فرض لغته وثقافته على الشعوب المغلوبة على أمرها، وإخواء المفاهيم الإسلامية من محتواها، وتضليل الناس في عقيدتهم، وَخْلِقَ جِّو دينية من الُروتِينِية في أداء العبادات والطقوس الد ، واستبدلت اللغة العربية باللغات الأوربية؛ كاللغة الفرنسية في المغرب العري، والإيطالية في ليبيا، والإنجليزية والفرنسية في منطقة الخليج العري والشام. ولا أكون مبالغا إذا قلت أن الاستعمار عمل جاهدا،بشتى الوسائل، لطمس الهوية الوطنية والدينية والثقافية لسكان البلاد التي يستعمرها، مع التركيز على النشء، حتى يضمن ولاءهم له، وتكون معرفتهم بالدين سطحية، فلا يعرفون من العبادات إلا شكلها ورسمها، ولضمان ذلك جعل التعليم مقتصرا على أبناء ذو المناصب العليا الموالين للاستعمار، أما أبناء عامة الشعب فكان حدهم في التعليم – إذا أتيحت لهم الفراة– هو إتمام المرحلة الابتدائية فقط. وظلت الأوضاع التربوية والثقافية واللغوية متقهقرة في أطانها تحت قبضة الاستعمار حتى النصف الثاني من القرن العشرين الميلاد ، (الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجر) عندما تحررت البلاد المسلمة من الاستعمار، بطريقة أو بأخرى، ورحل عنها المستعمر مخلِّفاً وراءه آثاره الثقافية والحضارية والسياسية والاجتماعية. عندئٍ ذ استيقظت مشاعر المسلمين وأحسوا بأنهم في حاجة ماسة إلى نظم سياسية وإدارية جديدة، تمحو آثار الاستعمار، خصوا في مجالات الحضارة والثقافة والتربية والتعليم، وتعيد لهم هويتهم الإسلامية، وهذا يتطلب أن تتضمن مناهج التعليم في المؤسسات التعليمية الرسمية تربية دينية، وتربية لغوية. ومن هنا برزت أهمية اللغة العربية، وبالفعل اهتمت الحكومات المسلمة العربية وغير العربية بهذه اللغة وأدرجتها ضمن مناهج التعليم القومي وأابحت تدرس جنبا إلى جنب مع التربية الإسلامية في مراحل التعليم ما قبل الجامعي، ولغة تخصص في التعليم

الجامعي في كليات اللغات العربية والدراسات الإسلامية، كما هو الحال في ماليزيا وإندونيسيا وبرونا وباكستان.

كذلك اهتم المسلمون الذين يعيشون في دول غير إسلامية باللغة العربية، كما في جزر المالديف، وسر لانكا، والفلبين، وتايلاند، وسنغافورة وغيرها من الدول التي بها أقلية مسلمة- مع ما يجدونه من اعوبات وعراقيل في إنشاء وتمويل المدارس الإسلامية والعربية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ، في ظل العلاقات الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والثقافية المتبادلة بين الدول الإسلامية، والمصالح الأخرى المشتركة بينها، زادت حاجة الدول الإسلامية الناطقة بغير العربية إلى تعليم وتعلم اللغة العربية، فاهتمت بالمناهج وطرق التدريس الخااة بتعليم العربية للناطقين بغيرها، وأدى هذا الاهتمام إلى إنشاء العديد من المعاهد والمراكز المخصصة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في آسيا والشرق الأوسط وأوروبا وأمريكا. وسارع المهتمون والمتخصصون في هذا المجال بخبراتهم في وضع طرق لتعليم اللغة العربية لغير العرب، معتمدين على ما توفر لهم من نظريات وخبرات وأبحاث خااة بتعليم اللغات الأجنبية، راجين من وراء ذلك إيجاد طريقة حمثلَى لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. مستندين في ذلك على ما توال إليهَ من سبقوهم من الأوربيين الذين أثروا مجال تعليم اللغة الأجنبية بالنظريات والطرائق والمداخل والأساليب، بل إنمعظم ما كتبه المهتمون بمناهج تعليم اللغة العربية بوافها لغة أجنبية – من أمثال:**د. رشدي أحمد طعيمة،و د. محمود كامل الناقة ،و د. على أحمد مدكور، و د. تمام حسان، ، و د. محمود إسماعيل صيني** ،وغيرهم – مترجم من اللغة الإنجليزية للغة العربية، بنفس النظريات وطرق التعليم والمداخل والأساليب.

فما قاله علماء أوربا في مجال تعليم اللغات الأجنبية ردده العلماء العرب المهتمون بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. وهي تقريبا ذات الطرق المذكورة أعلاه:

1. طريقة النحو والترجمة.
2. الطريقة المباشرة.
3. الطريقة السمعية الشفوية
4. الطريقة الطبيعية

5.طريقة الاستجابة الجسدية

6.الطريقة الاتصالية.

وغيرها من الطرق والمداخل المستخدمة في تعليم اللغات الأجنبية الأخرى.

وبما أن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يدخل في إطار تعليم اللغات الأجنبية، فلا حرج في الإفادة من خبرات وتجارب ونظريات الذين سبقونا في هذا المجال، سواءأكانوا في أوربا أو في أماكن أخرى من العالم. ويؤكد ذلك العصيلي فيقول:

"أما تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى في عصرنا الحاضر فمستمد من أساسيات تعليم اللغات الأجنبية وطرائق تدريسها، تلك الأساسيات والطرائق المنبثقة من نتائج الدراسات اللغوية والتربوية والنفسية التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين27**."...**

ومن المعلوم أن هذه الطرائق والأساليب والوسائل انبثقت عن دراسات وبحوث وتجارب ونظريات نفسية وتربوية، لكنها كانت في فترة زمنية مختلفة عما نحن عليه الآن –أقصد في مجال التعليم والتعلم– وفي بياة تعليمية مغايرة للبيااات التعليمية المعاارة، وفي مجتمعات مختلفةكثيرا عماكانت عليه في تلك الفترة؛ من حيث التفكير والسلوك وطريقة العيش والتعلم، وفي سهولة التواال اللا محدود مع الآخرين، وتبادل الخبرات والثقافات بلا حدود. هذا بالإضافة إلى أن أياً من طرق التعليم المذكورة لم تسلم من النقد والخلاف على مدى جدواها في تعليموتعلم اللغات الأجنبية .

وتساؤلي هنا :هل الطرائق والمداخل والوسائل المذكورة االحة لتعليم اللغات الأجنبية في كل زمان ومكان، لجميع الدارسين باختلاف مستوياتهم العمرية واللغوية والثقافية؟ لا أظن هذا، لأن كل لغة لها خصائصها، من أبجديتها إلى بلاغتها. فما يصلح من طرق ومداخل وأساليب ووسائل في تعليم لغةٍ قد لا يصلح في تعليم أخرى، وأيضا ما يصلح لفاة من الدارسين قد لا يصلح لفاةٍ أخرى، وذلك لاختلاف الأهداف، والبياة، والثقافة السائدة، والمستوى الاقتصاد وو...إلخ. كل هذه عوامل لها تأثير كبير على تعليم وتعلم اللغات الأجنبية، بل وعلى التعليم بصفة عامة. أضف إلى ذلك المتغيرات التي حدثت على الساحة الاتصالية من تقنيات وأجهزة إلكترونية ذكية–حواسيب وهواتف ومعامل– وشبكات اتصال محلية وعالمية، هذه الوسائل دخلت في مجال التعليم فغيرت مجرى العملية التعليمية، وجعلت الطالب يسبق المعلم في الحصول على

المعلومة، بل جعلت المعلومة تنتقل بين الطلبة بشكل سريع لم يسبق له مثيل، ومن خلال المواقع البحثية على الإنترنت يستطيع الفرد أن يتعرف على أ لغة أجنبية، من خلال القواميس الإلكترونية الصامتة والناطقة.

فالوضع قد تغير تماما عما عليه في القرن العشرين وما قبله، هذا التغيير يتطلب تغييرا في طرق ومداخل وأساليب التدريس. فإلى ثمانينيات القرن العشرين كان مجال تعليم اللغات ضيِّقا من حيث المساحة التواالية باللغات الأخرى، ومن حيث الوسائل التي يحستعان بها في التعليم، والتي كانت محدودة، وتتطلب عملا كثيرا لاستخدامها، كما أنها لم تكن متوفرة لا مع المعلم ولا مع الطالب نظرا لصعوبة تنقلها من مكان آخر، وكان التعليم يعتمد في معظمه على المعلم والكتاب، أو –إن اح التعبير – على المطبوعات الورقية، لأن وسائل الاتصال التي كانت سائدة في التعليم لا تتجاوز التلفاز التعليمي، والمذياع، وأشرطة التسجيل؛ السمعية، والسمعية /البصرية. وهذا كله قد حل محله أجهزة اتصال متعددة الأداء.